التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه

" دراسة دلالية "

✍إعداد الباحثة
سـارة علي عبدالله الحكمي
باحثة ماجستير ـ الكلية الجامعية
جامعة أم القرى ـ القنفذة ـ السعودية
sah٩٩٠١١@gmail.com

التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه "دراسة دلالية"

سارة علي عبدالله الحكمي

قسم اللغة العربية – الكلية الجامعية – جامعة أم القرى – القنفذة – السعودية.

البريد الاليكتروني : sah٩٩٠١١@gmail.com

الملخص :

تناولت الدراسة التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه، مسلطةً الضوء على دلالة الفعل الزمنية في التركيب، وأثر السياق/المقام في توجيه المعنى وتحديده، حيث كثر في هذه السورة التحول الزمني للأفعال، وكان له دورٌ هامٌ في إبراز المعاني الضمنية، والدلالات المقصودة؛ فقد جاءت محاكية لمضمون السورة وموضوعها، فقد جاء الفعل المضارع الدال على الزمن الماضي؛ تجسيدًا للصورة، وتوضيحًا لأحداث القصة القرآنية، حتى كأن السامع يعيش أحداثها. وجاء الفعل المضارع الدال على زمن عام في الحديث عن صفات الله –عز وجل– للدلالة على ديمومتها، وعدم اختصاصها في زمن دون الآخر.

الكلمات المفتاحية : الفعل – السياق – الزمن – الدلالة النحوية –أزمنة الفعل .

The temporal transformation of the present tense in Surat Taha, "a semantic study"

Sarah Ali Abdullah Al-Hakami
Department of Arabic Language - University College - Umm Al-Qura University - Al-Qunfudah - Saudi Arabia.
Mail : sah٩٩٠١١@gmail.com

Abstract :

The study dealt with the temporal transformations of the verb present Imperative in Surat Taha, highlighting the significance of the temporal act in the structure and the effect of the Context / Place in directing the meaning and limiting it. Where there are many in this surah of time shifted the actions, and had an important role in highlighting the meanings implied, indications intended; it was a simulation of the Surat content and its subject. The present verb has come indicating the past time as an embodiment of the image and an illustration of the events of the Quranic story, as if the hearer is living its events. The present act also came to indicate the general time in speech about Allah Almighty attributes .

Keywords: action - context - time - grammatical significance - times of action.

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ، والحمد لله الحليم، والصلاة على خير المرسلين، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حينما تتأملُ الآيةَ القرآنيةَ تجدُ من بلاغةِ الخِطَابِ ما يُرشد الفكرَ لقلبِ الحقيقةِ في صُورةِ بيانية، تَلوحُ للمُتدبرِ، وتُمسِكُ بزمامِ عَقلِه؛ حتى يُقلبَ آياتِ الله فَيجدُها مُبْصرةً أمامه، تُخبرهُ بحالٍ كان أمره ساريًا في ماضي الأيام، وإذ به في صُورةِ الحَدثِ الحالي يُحَدثهُ عن تَجددِ الحَدثِ واستمراره.

فالفعلُ في القرآنِ الكريم قد كان له حيزًا وافرًا من الآياتِ القرآنية، فمنه الماضي، والمضارع، والأمر، إلا أن هذه الأفعال الثلاثة لا تكتفي بدلالةِ صيغتها الصرفية المفردة، فالمضارع قد يأتي للدلالة على الماضي، والحال، والاستقبال، والزمن العام، فلا نستطيع الجزم على أنه دالٌ على الحالِ والاستقبال فقط، فاختلاف السياقات في الواقع اللغوي يؤدي إلى اختلاف في الدلالات الزمنية للصيغة الفعلية الواحدة، من هنا جاءت الدراسة الموسومة بـ(التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه) لقياس المدى الزمني للفعل المضارع في سياقات مختلفة. والغوص في المجال التطبيقي. وعدم الاكتفاء بالجانب النظري.

وقدْ آثرتُ أنْ تكونَ دراستي في سورةِ طه، فمَا أعظمَ أنْ ينشغلَ الإنسانُ في استجلاءِ المعاني الخفيةِ في الكتابِ الذي أعجزَ ملايين البشرِ، وقدْ وقعَ اختياري على هذِهِ السورةِ لأنّها سورةٌ غنيةٌ بالأفعالِ، فقدْ كثُرت الأفعالُ فيها كثرةً ملحوظةً مقارنةً بأخواتِها منْ السورِ، وكثُرتْ تحولاتُها الزمنيةِ.

وقدْ اقتصرت الدراسةُ على التحولِ الزمني للفعل المضارع إلى الزمن الماضي، والزمنِ العامِ الذي يشملُ عمومَ الزمانِ، دُونَ الخوضِ في الجهاتِ الزمنيةِ. (١) واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي الإحصائي، في تتبع التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه، والوقوف على دلالات هذا التحول في السياقات/المقامات المختلفة. مع الأخذ بعين الاعتبار في عملية الإحصاء، الأفعال التي تكررت فيها قرينتان لفظيتان أو أكثر، واحتسابها في المجموع النهائي فعلًا واحدًا.

أَهْدَافُ اَلدِّرَاسة :

تحاول الدراسة بيان دلالات التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه، وما فيها من جماليات، وتهدف إلى تحقيق الأهداف التالية:

١) إبراز دور السياق/المقام في التحول الزمني للفعل المضارع.
٢) بيان دلالات التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه .
٣) إبراز القرائن اللفظية والمعنوية المساعدة على التحولات الزمنية للفعل المضارع
٤) إظهار علاقة دلالات التحول الزمني للفعل المضارع بمضمون سورة طه وجوها العام.

(١) الأزمنة الثلاثة في العربية، الماضي والحال والاستقبال، تتفرع باعتبار الجهات الزمنية إلى عدة جهات. وقد حصرها تمام حسان في ستة عشر جهة، وهي: أ-الماضي: الماضي البعيد المنقطع، الماضي القريب المنقطع، الماضي المتجدد، والماضي المنتهي بالحاضر، والماضي المتصل بالحاضر، والماضي المستمر، والماضي البسيط، والماضي المقارب، والماضي الشروعي. ب-الحال: الحال العادي، والحال التجددي، والحال الاستمراري ج-الاستقبال: الاستقبال البسيط، والاستقبال القريب، والاستقبال البعيد، والاستقبال الاستمراري.

٥) إظهار أثر التحول الزمني للأفعال على المتلقي.

خِطةُ اَلدِّرَاسة :

اقتضت طبيعة هذه الخطة أن تأتي في مقدمة وتمهيد، ومطلبين، ثم الخاتمة، وقد جاءت على النحو الآتي:

-**المقدمة**

-**التمهيد**: الفعل المضارع:(تعريفه، علامته، إعرابه)

-**المطلب الأول**: دلالة المضارع على الزمن الماضي

-**المطلب الثاني**: دلالة المضارع على الزمن العام

- **الخاتمة**: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

التمهيد

تعريف الفعل المضارع:

تقاربت تعاريف الفعل المضارع في التراث اللغوي، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):" وهو ما يعتقب في صدره الهمزة والنون والتاء والياء،"(١) ، ويقول الأنباري (٥٧٧هـ):" الفعل المضارع: ما كانت في أوله إحدى الزوائد الأربع، وهي: الهمزة، والنون، والتاء، والياء،"(٢) وعرفه ابن الحاجب(٦٤٦هـ) بأنه:" ما أشبه الاسم بأحد حروف (نأيت)،"(٣) وقد توسع قليلًا السيوطي (٩١١هـ) في ذكر الزوائد عندما قال:" ومضارع إِن بُدِئَ بهمزة متكلم فَردًا أَو نونه مُعظمًا أَو جمعًا أَو تَاء مُخَاطب مُطلقًا أَو غَائِبَة أَو غائبتين أَو يَاء غَائِب مُطلقًا أَو غائبات."(٤)

نلاحظ مما سبق أن تعاريف القدماء قامت على أساس شكلي، وهي كل ما ابتدأ بأحد أحرف المضارعة المجموعة في كلمة (نأيت)، إلا أن ابن الحاجب قد زاد في تعريفه ما أشبه الاسم، وإذا أردنا الوصول إلى تعريف جامع للفعل المضارع عند القدماء نقول: هو كل حدث مضارع للاسم، دل على زمن التكلم أو بعده، بُدِئ بأحد أحرف المضارعة وهي: (الهمزة والياء والنون والتاء).

---

(١) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق :علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ٣٢١/١

(٢) أسرار العربية، كمال الدين الأنباري، الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٤٧/١

(٣) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ٤٤/١

(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت، ٣٤/١

علامته:

يتميز الفعل المضارع بعدة علامات تأتي فيه ولا نجدها في غيره من الأفعال، منها: قبول (لم)، قال ابن هشام (٧٦١هـ) :" علامته أَن يصلح دُخُول (لم) عَلَيْهِ،"[١] كذلك يُعرَف المضارع بقبول السين وسوف الدالة على الاستقبال، قال ابن الحاجب (٦٤٦هـ):" وتخصيصه بالسّين و(سوف)،"[٢] وعلامته أيضًا أن يبدأ بأحد حروف (نأيت)، قال ابن مالك (٦٧٢هـ) عن الفعل المضارع:" افتتاحُهُ بهمزةٍ للمُتكلِّم مفردًا، أو بنونٍ له عظيمًا أو مشاركًا، أو بتاء للمخاطب مطلقًا، وللغائبة والغائبتين، أو بياء للمذكر الغائب مطلقاً."[٣]

إعرابه:

على عكس فعلي الماضي والأمر، فالفعل المضارع معرب، إلا إذا اتصلت به نون التوكيد يبنى على الفتح، أو اتصلت به نون النسوة يبنى على السكون،[٤] فنون التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ**﴾،[٥] ونون

(١) المصدر السابق، ٣٣/١
(٢) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ٤٤/١
(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ، ٤/١
(٤) نظر: الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ٤٤/١، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ٧/١ ، والنحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥، د.ت ، ٢٧٧/٤
(٥) النور: ٥٣

النسوة مثل قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾،[1] وماعدا ذلك فالفعل المضارع يكون معربًا.

وتتغير علامة آخره رفعًا ونصبًا وجزمًا، فالصّحيح المجرّد "تكون العلامة ضمة، أو ما ينوب عنها، في حالة رفعه، وتكون فتحة، أو ما ينوب عنها، في حالة نصبه بناصب قبله، وتكون سكونًا أو ما ينوب عنه في حالة جزمه بجازم قبله،"[2] فيعرب بالعلامات الظاهرة إذا كان صحيحًا، والمعتل بالواو والياء يعرب بالضمة تقديرًا والفتحة لفظًا، ومعتل الألف يعرب بالضمة والفتحة تقديرًا، أما الأفعال الخمسة فترفع بثبوت النون، وتنصب وتجزم بحذف النون. ويكون الفعل المضارع مرفوعًا إذا تجرد من الناصب والجازم.[3]

دلالات الفعل المضارع:[4]

١-الدلالة على الزمن الماضي، قال تعالى: ﴿ **فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ**﴾.[5]

(١) البقرة: ٢٣٣

(٢) النحو الوافي، عباس حسن، ٢٧٧/٤

(٣)ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الصبان الشافعي، أبو العرفان محمد بن علي، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م، ٤٠٥/٣ ، والكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ٤٤/١، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ٧/١

(٤)ينظر: الزمن النحوي في اللغة العربية، كمال رشيد، عالم الثقافة، د.ط، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ص٧٣

(٥) البقرة: ٩١

٢- الدلالة على الحال، قال تعالى:﴿ **فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**﴾.(١)

٣- الدلالة على الاستقبال، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ** ﴾.(٢)

٤- الدلالة على الزمن العام،(٣) قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾.(٤)

(١) الجن:٩

(٢) البقرة:١٧٤

(٣) ينظر: في النحو العربي (نقد وتوجيه)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي ، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص١٥٧

(٤) البقرة: ٢٢٠

المطلب الأول: دلالة المضارع على الزمن الماضي

جاء الفعل المضارع في صيغته الصرفية للدلالة على زمن الحال، إلا أنه قد يأتي للدلالة على الزمن الماضي، "وهو استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحرًا خاصًا، يقولون بأن الحاضر أكثر تعبيرًا أو أبلغ وصفًا، حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحدث."(١) وبالنظر إلى التراث اللغوي، للوصول إلى أزمنة الفعل المضارع عند القدماء، ودلالتها على الماضي، نجد تباين آرائهم في الدلالة الزمنية لهذا الفعل، فلم تكن دلالته مجمعًا عليها كما هو الحال مع الماضي، فقد ذهب القدماء في دلالة المضارع خمسة أقوال لا تخرج عن الحال والاستقبال:(٢)

١- فريق أنكر أن يكون للحال صيغة، والمضارع لا يكون إلا للمستقبل؛ وذلك لقصر مداه الزمني.

١- فريق جعل المضارع صالح للحال والاستقبال، ومنهم الزمخشري (٥٣٨هـ) الذي قال:" ويشترك فيه الحاضر والمستقبل." (٣) وقال ابن يعيش(٦٤٣هـ) يقول:" فهو يصلح لزمانيَ الحال والاستقبال،"(٤) وقال ابن مالك (٦٧٢هـ) عن زمنه:" والأمرُ مستقبلٌ أبدًا. والمضارعُ صالحٌ له وللحال ولو نفي بـ"لا" خلافاً لمن خصها بمستقبل."(٥)

٢- فريق خص دلالة المضارع على الحال، ومنهم ابن الطراوة(٥٢٨هـ)، فالمستقبل بنظره غير محقق الوجود. يقول:" قولك (قعد) دليل على قعود انقضى بعد وجود،

(١) اللغة، فندريس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م، ١٣٨

(٢) ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ٣٧,٣٦/١

(٣) المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق :علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٢١

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٢١٠/٤

(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ٤/١

و(سيقعد) دليل على قعود يأتي، وهو الآن في العدم، و(يقعد) دليل على قعود في حال حديثك."[١]

٣- ومنهم من رأى أنه حقيقة في الاستقبال ومجازٌ في الحال، لِأَن المستقبل أسبق في الأصل فهُوَ أَحَق.

٤- ومنهم من رأى أنه حقيقة في الحال ومجازٌ في الاستقبال، كالسيوطي(٩١١هـ) الذي قال عن هذا المذهب:" وهو الْمُخْتار عندِي بدليل حمله على الْحَال عند التجرد من الْقَرَائن، وهذا شَأن الْحَقِيقَة ودخول السين علَيه لإِفَادة الاستقبال."[٢]

أما المحدثون [٣] فقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وقالوا بالدلالة الزمنية داخل السياق، وهو ما يسمى بـ (الزمن النحوي)، فقد اتسعت دلالة الفعل المضارع عندهم، فجعلوه دالًا على الأزمنة المتعددة، فيفيد الحال أو الاستقبال أو الماضي... وغيره من الأزمنة وجهاتها، وجعلوا من السياق والقرائن اللفظية والمعنوية هي المحدد لذلك الزمن، فزمن الصيغة لا يرتبط بصيغته.

والذي يظهر لي أن المحدثين على حق في دلالة الفعل السياقية، فلو قلنا بدلالته على الحال والاستقبال فقط، أو دلالته خارج السياق، فهذا يعني أن تكون دلالتا الفعلين المضارعين متساويةً في قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾،[٤] بينما زمن الفعل المضارع الأول هو الماضي، والثاني هو المستقبل، مع أن الفعلين من جنس واحد ومن صيغة واحدة.

---

(١) رسالة الافصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح، ابن الطراوة المالقي، سليمان بن محمد بن عبد الله أبو الحسين، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٢١

(٢) همع الهوامع، السيوطي، ٣٧/١

(٣)ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،٣٢٣/٣-٣٣٣، والنحو الوافي، عباس حسن، ٥٧/١-٦١، وفي النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي، ص١٥٦-١٥٨

(٤) البقرة: ٢٤

ويؤكد على ذلك السامرائي الذي قال عن المضارع:" يأتي للتعبير عن حالات خاصة بصرف النظر عن الدلالة الزمانية التي يشير إليها البناء؛ وذلك لأن هذه الدلالة قد تتحصل مما يبرز من قرائن تكون في بناء الجملة... ، وقد يأتي بناء (يفعل) وهو دال على المضي وذلك لقرينة ترشحه إلى الزمان الماضي."[١] وهكذا فليس من الضروري أن تتلخص دلالة المضارع على زمن الحال والاستقبال، فللسياق دور مهم في إبراز تلك الدلالة التي يشير إليها الفعل، ويساعد على ذلك أيضًا القرائن اللفظية والمعنوية التي تتصل بالفعل المضارع، فتسلب دلالته من الحال إلى الماضي، ومن هذه القرائن:

١- إذا سُبق الفعل المضارع (بلم، ولما)،[٢] تتحول دلالته إلى الماضي، فهما حرفان من أحرف الجزم يدخلان على الفعل المضارع،[٣] ومن ذلك كأن تقول: (لم يذهب الطالب إلى المدرسة)، فهي بمعنى (ما ذهب)، وقوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾،[٤] ومثال (لما) قوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾،[٥] والذي قال عنه ابن الحاجب (٦٤٦هـ):" (لم) لقلب المضارع ماضيًا ونفيه، و(لما) مثلها،"[٦] ويقول ابن مالك (٦٧٢هـ):" وينصرف إلى المضي بلم و"لما" الجازمة،"[٧] وقال المرادي

(١) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ١/ ٤٦، و الفعل زمانه وأبنيته، السامرائي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٣هـ، ص٣٣

(٢)ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ١/٥، والنحو الأساسي، أحمد مختار ومصطفى زهران ومحمد حماسة، دار السلاسل، الكويت، ط٤، ١٩٩٤م، ص١٧٨، والنحو الوافي، عباس حسن، ١/١٦، والزمن النحوي، كمال رشيد، ص٦٢

(٣)ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ص٣٠٧-٣٠٩

(٤) آل عمران:٤٧

(٥) يونس: ٣٩

(٦) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ١/٤٦

(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ١/٥

(٧٤٩هـ):" تساوي "لم" فيما ذكر، من جزم الفعل المضارع، وصرف معناه إلى المضي، (لما)،"[١] وقال ابن هشام (٧٦١هـ) إن (لم):"حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيًا، نحو (لم يلد ولم يولد)،"[٢] وقال السامرائي:" يأتي بناء (يفعل) مسبوقًا بـ(لم) فيشير إلى الماضي، فإذا قلنا: "لم يكتب" فكأننا قلنا: ما كتب."[٣]

٢- إذا وقع المضارع بعد (إذ) الظرفية،[٤] وقد قال عنها كمال رشيد:" إذا تبعها الفعل المضارع فهو بمعنى الماضي،"[٥] وقال بكري عبدالكريم عنها:" يتفق النحاة على أنها ظرف لما مضى من الزمن."[٦] ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**﴾،[٧] وهي بمعنى: (رفع) لأن الحدث حصل في الماضي. كذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ**﴾[٨] أي : قلت.

٣- يتعين زمنه للماضي إذا وقع في حكاية حال ماضية،[٩] والمقصود بحكاية الحال الماضية هو التعبير عن الأحداث الماضية بصيغة الحال؛ وذلك لاستحضار صورة الأحداث، وكأنها مشاهدة ومرئية في وقت الإخبار عنها، [١٠] ومنه قوله تعالى:

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، ص٢٦٨

(٢) مغني اللبيب، ابن هشام، ص٣٠٧

(٣) الفعل زمانه وأبنيته، السامرائي، ص٣٣

(٤)ينظر: الهمع، السيوطي، ١/ ٣٧، والزمن النحوي، كمال رشيد، ص٦٣

(٥) الزمن النحوي، كمال رشيد، ص ٢٠٥

(٦) الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، القاهرة-مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، د.ت، ص٣٢٦

(٧) البقرة: ١٢٧

(٨) الأحزاب:٣٧

(٩)ينظر: معاني النحو، السامرائي، ٣/٣٢٨، والنحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي، ص١٥٨

(١٠)ينظر: المرجع السابق، ٣/٣٢٨

﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾،[1] فهي بمعنى: ساموكم، وذبحوا أبناءكم.

٤- إذا عطف الفعل المضارع على ماضي، يتعين زمنه للماضي، بشرط اتفاقهما في الزمن، قال السيوطي (٩١١هـ):" وما عطف على حال أو مسْتَقْبل أو ماضٍ، أو عطف عليه ذلك، فَهوَ مثله لاشْتِرَاط اتِّحاد الزَّمان فِي الفعلين المتعاطفين نَحو:﴿**ألم تَرَ أَن الله أنزل من السَّمَاء مَاء فَتُصْبِح الأَرْض**﴾،[2] أَي فَأَصْبَحت الأَرْض."[3]

٥- إذا جاء الفعل المضارع بعد (لو) الشرطية،[4] على نحو قوله تعالى : ﴿**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**﴾،[5] بمعنى لو وجدوا. قال الألوسي(١٢٧٠هـ) في هذه الآية: "وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط، وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم الوجدان، حسبما يقتضيه المقام، ونظير ذلك: لو تحسن إلي لشكرتك، نعم كثيرًا ما يكون المضارع المنفي الواقع موقع الماضي؛ لإفادة انتفاء استمرار الفعل لكن ذلك غير مراد ههنا."[6] ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾.[7]

---

(١) البقرة: ٤٩

(٢) الحج:٦٣

(٣) الهمع، السيوطي، ٤٢/١

(٤)ينظر: المصدر السابق، ١/ ٣٧ ، و دراسات في الفعل، عبدالهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م ، ص٥٩، والزمن النحوي، كمال رشيد، ص٦٤

(٥) التوبة: ٥٧

(٦) روح المعاني، الألوسي، ٣٠٩/٥

(٧) يونس: ١١

٦- إذا دخلت عليه (قد)،[١] وقد خصها السيوطي(٩١١هـ) بالتي تفيد التقليل،[٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**﴾.[٣]

٧- يتعين زمن المضارع للماضي إذا كان واقعًا خبرًا لكان وأخواتها،[٤] قال المخزومي:" صيغة (كان يفعل) وما على مثالها: تستعمل للتعبير عن استمرار الحدث في فترة من الزمان الماضي ...، ويتم مثل هذه الدلالة أيضًا مع:(أمسى، وبات، وأصبح، وظل) بدلًا من (كان)،"[٥] كأن تقول: (كان زيد يذاكر درسه)، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾،[٦] بمعنى كفروا.

٨- تدخل (ربما) على المضارع فتحول زمنه للماضي،[٧] لاختصاصها بالزمن الماضي، من ذلك: (ربما يتمنى الطالب لو نجح)، فهي بمعنى تمنى، وقال المرادي: "إذا وقع الفعل المضارع بعد ربما صرفت معناه إلى المضي، نحو: ربما يقوم زيد، أي: ربما قام زيد. وإنما صرفت معنى المضارع إلى المضي، لأنها قبل افترانها بما مستعملة في المضي، فاستصحب لها ذلك بعد الاقتران"[٨] وقال في قوله تعالى:

---

(١)ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ١/٥ ، والزمن في القرآن الكريم، بكري عبدالكريم، ص٣٢٣,٣٢٤

(٢)ينظر: همع الهوامع، السيوطي،١/٣٧

(٣) الصف: ٥

(٤)ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ١/٤١، واتجاهات التحليل الزمني، محمد عبدالرحمن الريحاني، دار قباء، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٣٨٦، والزمن في النحو العربي، كمال إبراهيم، إشراف تمام حسان، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٦٩م، ص٢٠٠

(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي، ص١٥٨

(٦) البقرة: ٦١

(٧) ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ١/٤٠، واتجاهات التحليل الزمني، الريحاني، ص٩٧، والنحو الوافي، عباس حسن،١/١٦

(٨) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص٤٥٦-٤٥٧

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾،[1] "فظاهره الاستقبال، وتأولوه على تقدير ربما ودّ، جعل فيه المستقبل بمعنى الماضي، لصدق الموعود به، ولقصد التقريب لوقوعه. فجعل، وإن كان غير واقع، كأنه واقع مجازًا."[2]

الأفعال المضارعة الدالة على الماضي في سورة طه:

ورد في سورة طه مئة وخمسة وخمسون (١٥٥) فعلًا مضارعًا، وهذا ليس بالعدد القليل بالنسبة إلى سورة تحكي قصتي موسى وآدم -عليهما السلام- في معظم آياتها، فكان من الطبيعي أن يقل عدد الأفعال المضارعة، وإذا أمعنا النظر في بعض هذه الصيغ الفعلية نجدها دالة على الزمن الماضي، لا على زمن الصيغة، فقد تحول منها ثلاثة عشر (١٣) فعلًا، فما كان وراء ذلك التحول الزمني للصيغة الفعلية إلا لمعانٍ ودلالات، ومما ورد في السورة دالًا على الماضي ما يلي:

١- ورد في سورة طه فعلان مضارعان (٢) **مسبوقان بـ(إذ)** يدلان على الماضي، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِذ تَمشِي أُختُكَ فَتَقولُ هَل أَدُلُّكُم عَلى مَن يَكفُلُهُ**﴾،[3] فقد جاء الفعلان المضارعان (**تمشي**) و(**تقول**) مسبوقين بـ(إذ)، والتي حددت زمنهما إلى الماضي، والمشي هو الانتقال من مكان لآخر بإرادة،[4] قال أبو السعود:"﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ**﴾ ظرف لتصنع، على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون، وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها، وتربيتها له بالبر والحنو، وهو المصداق لقوله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ إذ لا شفقة أعظم من شفقة الأم وصنعها على موجب مراعاته تعالى."[5] فقد دل الفعلان المضارعان على الزمن الماضي؛ وذلك لأن كلًا من الفعلين قد حصلا في الزمن الماضي، فالقول قد حصل في الزمن الماضي، وكذلك الحال

(١) الحجر: ٢

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص٤٥٧

(٣) طه: ٤٠

(٤)ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، د.ط، د.ت، ٥٣٣/٣٩

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ١٥/٦-١٦

مع المشي، ونلمس في ذلك توضيحًا لتلك الحال واستحضارًا للصورة.[1] وذلك لتصوير تلك المنة التي منها الله على سيدنا موسى، "أي: ولتصنع على عيني حين تمشي أختك."[2] فيحكي لنا ربنا عز شأنه قصة موسى -عليه السلام-، ثم يأتي لنا بذكر مشي أخت موسى-عليه السلام- وقولها على صيغة المضارع لا الماضي، فكان من الطبيعي أن تتوالى الأفعال الماضية بصيغة واحدة بما أنها واردة في سياق قصة ماضية قد حصلت، لا أن تأتيَ على صيغة المضارع.

وتدخل قرينة أخرى لتدلنا على دلالتهما على الزمن الماضي، وهي وقوعهما في حكاية حال ماضية. قال القنوجي (١٣٠٧ هـ) عن هذه الآية:" وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية،" [3] وقال المخزومي عن دلالات (يفعل) أنها تعبر:" عن حكاية حال وقعت في الزمان الماضي."[4]

لنتأمل هذا المشهد القرآني المفعم بالحيوية والحركة، في تصوير التعبير القرآني لحركة أخت موسى وهي خائفة تترقب أخاها، وتتبعه وتمشي إلى بيت فرعون، وما ترتب عليه من حديثها معهم وعودتها إلى أمها، وما هي إلا منّة منّها الله على سيدنا موسى حيث قال: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى**﴾ وبدأ بذكر المنن الأخرى إلى أن قال: ﴿**إِذْ تَمْشِي**﴾. فيذكره الله بنعمته عليه ورجوعه إلى أمه. قال ابن الأثير(٦٣٧هـ):" اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذاك؛ لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك

(١)ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٥/٢

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، ٤٦٣٦/٧

(٣) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ٢٣١/٨

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي، ص١٥٨

الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي، وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه جعلًا بمكانه."[١]

فلو جاء التعبير القرآني بـ(مشت) و(قالت) لما استشعرنا صورة أخت موسى وهي تسألهم، وقد استعلتها حالة الخوف والرهبة من فرعون... ونلمس في ذلك توضيحًا لتلك الحال واستحضارًا للصورة؛[٢] لأن المضارع أوقع في النفس من الماضي، ويشد ويجذب انتباه السامع أو المتلقي.

٢- جاء في سورة طه سبعة (٧) أفعال مضارعة **مسبوقة بـ(لم)**، وهي على النحو الآتي:

- قال تعالى:﴿ **قالَ يا قَومِ أَلَم يَعِدكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا**﴾.[٣]
- قوله تعالى:﴿ **إِنّي خَشيتُ أَن تَقولَ فَرَّقتَ بَينَ بَني إِسرائيلَ وَلَم تَرقُب قَولي**﴾.[٤]
- قال أيضًا:﴿**قالَ بَصُرتُ بِما لَم يَبصُروا بِهِ** ﴾.[٥]
- قوله تعالى:﴿**وَلَقَد عَهِدنا إِلى آدَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزمًا**﴾.[٦]

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ٢/١٤٥

ولكن ليس كل فعل مضارع مسبوقًا ب(إذ) جاء للدلالة على الماضي كما قال النحاة، بل قد تدل على المستقبل، وقد ورد ذلك في سورة طه في قوله تعالى:﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ إِذ يَقولُ أَمثَلُهُم طَريقَةً إِن لَبِثتُم إِلّا يَومًا ﴾ [طه:١٠٤] ذلك لورودها في سياق الحديث عن أخبار يوم القيامة، ويوم القيامة لم يحن بعد، وإنما هو آت لامحالة فهو دال على المستقبل.

(٢)ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، ٢/١٤٥

(٣) طه:٨٦

(٤) طه: ٩٤

(٥) طه: ٩٦

(٦) طه: ١١٥

- قوله تعالى:﴿**وَكَذلِكَ نَجزي مَن أَسرَفَ وَلَم يُؤمِن بِآياتِ رَبِّهِ**﴾.[١]
- قوله عز شأنه:﴿**أَفَلَم يَهدِ لَهُم كَم أَهلَكنا قَبلَهُم مِنَ القُرونِ**﴾.[٢]
- قال تعالى:﴿ **أَوَلَم تَأتِهِم بَيِّنَةُ ما فِي الصُّحُفِ الأولى**﴾.[٣]

فالأفعال المضارعة في الآيات السابقة المسبوقة بـ(لم) هي مؤولة إلى الزمن الماضي، بعيدًا عن تمام حصولها أو عدمه، فإنها لا تدل على الحال كما تشير الصيغة أو المستقبل، وإنما جاءت دالة على الماضي، لأنها وردت في سياق قصة ماضية، قد مضت وتحقق وقوعها؛ ففي الآية الأولى جاءت صيغة المضارع بمعنى (ما وعدكم)، والثانية بمعنى (ما رقبت)، والثالثة بمعنى (ما بصروا)، والرابعة بمعنى (ما وجدنا)، والخامسة بمعنى (ما آمن)، والسادسة بمعنى (ما هداهم)، والأخيرة بمعنى (ما أتتهم). ففي قوله تعالى:﴿ **قالَ يا قَومِ أَلَم يَعِدكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا**﴾ يعدكم من الوعد، ووعدته أَي مَنَّيْتُه،[٤] وفي هذه الآيات يخاطب موسى قومه وهو غضبان مما فعلوه من بعده من عبادة العجل، مستنكرًا عليهم ما فعلوه، أما وعدكم الله وعدًا حسنًا بإنزال التوراة وإدخالكم الجنة![٥] وقد جاء الفعل مسبوقًا بـ(لم)، وكان من الطبيعي أن تأتيَ (أما وعدكم؟)، فقد قال أبو السعود (٩٨٢هـ) في هذه الآية "أيْ: وعَدَكم."[٦] والاستفهام" إنكاري؛ نُزِّلوا منزلة من زعم أن الله لم يعدهم وعدًا حسنًا؛ لأنّهم أجروا أعمالهم على حال من يزعم ذلك، فأنكر عليهم زعمهم."[٧]وما يدلنا أيضًا أنه يدل على زمن الماضي القرينة في قوله تعالى:﴿ **قالوا ما أَخلَفنا مَوعِدَكَ بِمَلكِنا**﴾،[٨] فقد وعدهم وأخلفوه، وها هم يبررون

(١) طه: ١٢٧

(٢) طه: ١٢٨

(٣) طه: ١٣٣

(٤)ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ٣٠٦/٩

(٥)ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦هـ، ٣١٧/١

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٣٥/٦

(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦/ ٢٨٢

(٨) طه: ٨٧

لإخلافهم هذا الوعد. وتدخل الهمزة على (لم يفعل) فتفيد الإثبات لا النفي، كما لو جاءت بدون همزة مع بقاء زمن الفعل كما هو (الماضي).[١] فقد أعطى التعبير بالمضارع بدلًا من الماضي إثبات وعد الله لهم مسبقًا. ويؤكد على ذلك ما ذكره الشنقيطي(١٣٩٣هـ) في تفسيره لهذه الآية:" كل فعل مضارع في القرآن مجزوم بـ(لم) إذا تقدمتها همزة استفهام. كقوله هنا: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ فيه وجهان معروفان عند العلماء: الأول: أن مضارعته تنقلب ماضوية، ونفيه ينقلب إثباتًا. فيصير قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدكُم﴾ بمعنى وعدكم، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾[٢] بمعنى شرحنا، وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾[٣] جعلنا له عينين. وهكذا. ووجه انقلاب المضارعة ماضوية ظاهر، لأن (لم) حرف قلب تقلب المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى المضي كما هو معروف. ووجه انقلاب النفي إثباتًا أن الهمزة إنكارية، فهي مضمنة معنى النفي، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فينفيه، ونفي النفي إثبات فيؤول إلى معنى الإثبات."[٤]

وجاء الفعلان (**ترقب**) و(**يبصروا**)، للدلالة على زمن الماضي، بالقرينة اللفظية (لم)، فهما واقعان في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- وقومه، مع هارون والسامري، والمعنى في قوله تعالى:﴿**وَلَم تَرقُب قَولي**﴾، أي ما رقبت، " أي تقول لم تعمل بوصيتي لك فيهم وتحفظها، ومراده بوصية موسى له قوله هو: اخلفني في قومي وأصلح."[٥] وذلك بأن تعمل بوصيتي وتتمثل لأمري. وهذا يمثل اعتذارًا من هارون لموسى —عليه السلام-.[٦] وفي قوله تعالى:﴿**قالَ بَصُرتُ بِما لَم يَبصُروا بِهِ**﴾، "بصرت بالشيء بصرًا،

(١)ينظر: الزمن في القران الكريم، بكري عبدالكريم، ص٢٨٢

(٢) الشرح: ١

(٣) البلد: ٨

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ٤/ ٨٢

(٥) فتح البيان، القنوجي، ٨/ ٢٧٠

(٦)ينظر: المصدر السابق، ٨/ ٢٧٠

وأبصرته، رأيته،"[1] في هذه الآية يجيب السامري على سيدنا موسى -عليهما السلام- عندما سأله عن سبب ضلاله لقومه، فجاءت الإجابة بقوله: بصرت بما لم يبصروا.[2] وتختص لم بالفعل المضارع وتصرف معناه إلى الماضي،[3] وقد جاء للدلالة على أمر مرئي، وبصرت وأبصرت كلاهما من أفعال النظر بالعين، إلا أن بصرت أقوى من أبصرت؛ لأن معناها شديد الإبصار.[4] وفي ذلك اعتراف من السامري بصناعة العجل وندمه على ذلك.[5]

وفي قوله تعالى:﴿**وَلَقَد عَهِدنا إِلى آدَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزمًا**﴾، الفعل (لم **نجد**) هنا بمعنى (ما وجدنا)، إذًا فهو فعل مضارع لفظًا، وماضٍ في المعنى لعدة أسباب؛ فقد تعينت دلالته على الماضي؛ أولًا لأنه جاء مسبوقًا بـ(لم)، وهي من القرائن الدالة على الماضي، وثانيًا لوجود القرينة اللفظية ﴿**مِن قَبلُ**﴾ وهي من القرائن الدالة على الماضي، ثم "يذكر اسم آدم الذي يصرف الكلام إلى الماضي البعيد، وقد جاءت في سياق يدل على سرد أحداث الأولين، وذلك في قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا**﴾،[6]"[7] فقد اجتمعت القرائن؛ لتوجه الزمن وتعينه إلى زمن ماضٍ.

(١) الأفعال، ابن القوطية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٢٧

(٢)ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٨/ ٥٦٢

(٣) الجنى الداني، المرادي، ، ص٢٦٧

(٤)ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩٥/١٦

(٥)ينظر: المصدر السابق، ١٦/ ٢٩٦

(٦) طه: ٩٩

(٧) الزمن في القرآن الكريم، بكري عبدالكريم، ص ٢٨١

وقد أفاد التركيب تأكيد النفي، تأكيدًا يتجاوز نفي الماضي، وقد جاء ذكر قصة سيدنا آدم هنا، لا لترتيب القصة الزمني بل لتصوير المعاني، والمشاعر النفسية،(١) كذلك الحال في الفعلين (**يهد**) و(**تأتهم**) فقد وجهت القرينة (لم) زمنهما للماضي، كما أنهما قد دلا على الماضي بالقرينة (قبلهم) في قوله تعالى: ﴿ **كَم أَهلَكنا قَبلَهُم مِنَ القُرونِ**﴾،(٢) وجاء التركيب للدلالة على تأكيد إتيانهم البيان والبرهان من قبل.(٣) وذلك أبلغ من التعبير عنها بصيغة الماضي. وأيضًا تأتي (لما) مع الفعل المضارع، وتفعل كما تفعل (لم) من قلبه ماضيًا، إلا أن سورة طه خلت منها.

٣-ومن الآيات التي دلت فيها (يفعل) على الماضي، **ما عطف على ماض**، وقد ورد في سورة طه فعل مضارع واحد (١)، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ نَجزي مَن أَسرَفَ وَلَم يُؤمِن بِآياتِ رَبِّهِ**﴾،(٤) يؤمن من الإيمان، وآمن به إيمانًا صدقه،(٥) وتحمل هذه الآية تحذيرًا وعيدًا من الله بعذاب الآخرة، يجزي به المسرفين المعتدين الكفار به عز شأنه، بعذاب في الآخرة فوق كل عذاب يتخيله الإنسان أو يقع في الدنيا.(٦)وفي هذه الآية تحول الفعل المضارع من زمنه الأصلي وجاء لإفادة الماضي، وذلك لأنه معطوف على الفعل الماضي(أسرف)، وأيضا للقرينة اللفظية (لم) التي أحالته إلى الزمن الماضي، ولابد أن نشير هنا، أنه قد ذُهِب في تفسير هذه الآية رأيان، وتبعه اختلاف في الزمن، فالسياق هو المحدد الأول للدلالة الزمنية للأفعال. التفسير الأول وهو الأرجح في معنى الآية، وهو تحذير من الله؛ قصد به موعظة السامعين،(٧) وزمنه في هذه الحال يؤول إلى

(١)ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ، ص٤٩٩

(٢) طه: ١٢٨

(٣)ينظر: فتح البيان، القنوجي، ٢٩٨,٢٩٢/٨

(٤) طه: ١٢٧

(٥) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٨٦/٣٤

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٦٩/٤

(٧) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٣٣/١٦

الماضي، أما إذا كان القصد من الآية حكاية خطاب الله للكفار يوم القيامة، وهو أمر واقع في حيز الاستقبال، كما قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"يجوز أن تكون من حكاية ما يخاطب الله به من يحشر يوم القيامة أعمى، قصد منها التوبيخ له والتنكيل."[١] فإنه في هذه الحالة تدل على الاستقبال؛ لوقوعها في حيز يوم القيامة، فليس كل (لم يفعل) صيغة دالة على الماضي، فقد تأتي للدلالة على الاستقبال، قال بكري عبد الكريم:" وجدنا مع بعض اللغويين المحدثين أن زمن المضارع لا ينقلب إلى الماضي مع (لم) في بعض الآيات بل يدل على المستقبل البعيد،"[٢] وعند تأملنا في هذه الآية نجد تخصيص الإسراف بصيغة الماضي (أسرف)، وأما عدم الإيمان فورد بالمضارع (يؤمن)، فالإسراف يكون بالذنوب والمعاصي فقد يحصل في ماضي الكافر، أما عدم الإيمان فهو أكبر من ذلك وأعظم وأشد حرمة، وهو أمر معنوي يلازم القلب، وقد يستمر ويتجدد طيلة حياة الكافر، فجاءت للدلالة على استمرار الكفر في قلوبهم وتجدد حدوثه. ولو جاء التعبير القرآني(آمن) بدل (يؤمن) لما لمسنا ذلك. ويؤكد على ذلك الألوسي(١٢٧٠هـ) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣] عندما قال: "إيراد صيغة المضارع مع الظرف الدال على المضي؛ للدلالة على استمرارهم على القتل في الأزمنة الماضية."[٤]

٤- مما تحولت دلالة صيغته في السورة ما جاء **لحكاية حال ماضية**، وقد جاء ستة أفعال (٦) في السورة، وذلك :

- قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ**﴾.[٥]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٣٣/١٦

(٢) الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، ص٢٨٣

(٣) البقرة: ٩١

(٤) روح المعاني، الألوسي، ٣٢٤/١

(٥) طه: ١٢٨

- قوله تعالى ﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ**﴾.[١]
- قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ**﴾.[٢]
- قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ**﴾.[٣]

نجد التحول الزمني في الفعل (**يمشون**)، فقد دل على الزمن الماضي، ويؤكد على ذلك أيضًا القرينة اللفظية في قوله: ﴿**قَبْلَهم**﴾، فالفعل (يمشون) جاء على صيغة المضارع لاستحضار صورة ذلك المشهد، قال أبو حيان (٧٤٥هـ) :" أي ألم نبين للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أهلك من الكفار."[٤] ولم يأتِ التعبير القرآني (مشوا)، فنحن لا نلمح فيها تلك الحركة والحيوية التي نجدها في (يمشون)، فقد أسهم الفعل المضارع الدال على الماضي بتجسيد حركة تلك المفردة القرآنية، فنحن عندما نسمع (يمشون) بدل (مشوا) في زمن قصة ماضية حدثت منذ زمن بعيد، فإننا حينها نكاد نرى هؤلاء الناس وهم "(يمشون في مساكنهم) ويتقلبون في ديارهم فيعتبروا بهذا الإهلاك، فيرجعوا عن تكذيب الرسول،"[٥] فمن المعروف أن ذكر حالتهم وهم يمشون أشد وقعًا من التعبير عنها بالماضي، وذلك للتأثير والاعتبار بحالة الأمم السابقة لئلا يلحقهم ما حل بالأمم السابقة.[٦] "والغرض من حكاية الحال الماضية هو الإشعار بأهمية القصة، وبصحة ما تضمنته من معنى ... فيثور الشوق إلى سماعها ويمتزج السامع بجوها."[٧] ومن حكاية الحال أيضًا الواردة في سورة طه الأفعال(تسعى) و(يخيل) و(تسعى)، فقد جاءت للدلالة على الزمن الماضي، وذلك لأنها وقعت حكاية لحال

(١) طه: ٢٠
(٢) طه: ٦٦
(٣) طه: ٤٠
(٤) البحر المحيط، أبو حيان، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٩٧/٧
(٥) فتح البيان، القنوجي، ٢٩٢/٨
(٦) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤، ٤٦٤/٣
(٧) النحو الوافي، عباس حسن، ٣٤١/٤

ماضية. فالفعل (**تسعى**) ، مأخوذ من السعي، وهو "العدو دُونَ الشَّدِّ،"[١] وفي هذه الآية استجاب موسى لأمر الله، عندما أمره بإلقاء العصا، فكأنه قال ألقها يا موسى لترى من شأنها ما ترى،[٢] وإذا نظرنا إلى هذه الآية نجد ورود صيغة المضارع (تسعى)، مع بقاء الدلالة على الماضي، إذ وردت ماضية معنىً ومضارعة لفظًا، وما كان ذلك إلا لبلاغة القرآن وإعجاز بيانه، فإننا نلمح صورة من الحركة والسعي وقوة لهذه الحية، وكأننا نشاهد الصورة حاضرة أمام أعيننا، فقد أعطى التعبير عن الماضي بالمضارع تجسيد حركة هذه الأفعى، وهي تتحرك وتسعى بسرعة، وهذا ما لا يستوقفنا فيما لو جاء التعبير بـ(سعت). وكذلك الحال في الفعلين (**يخيل**) و(**تسعى**) فقد دل المضارع على الزمن الماضي، وهي بمعنى خيّل لهم أنها سعت، فلقد خيل لموسى –عليه السلام– من سحرهم، أن هذه الأفاعي تسعى وتتحرك وتعدو بسرعة، وهي خيالات قائمة على تزييفات السحرة بخداع بصري، مع أنها في الحقيقة لاتزال حبالًا.[٣] " فالخوف من السحر الذي مارسه السحرة أمام موسى ورؤيته للحبال والعصي تتحول ثعابينًا وحيات تسعى، أفقد موسى قدرته على التفكير، وجعله ينسى ما وعده الله من النصر ..، ومن المعية والحفظ. بقوله : ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٤]." [٥] وكذلك الحال في الفعلين (تمشي، تقول)، فهما واقعان ضمن حكاية الحال الماضية، وقد سبقت الإشارة إليهما.

أخيرًا فقد رأينا كيف أسهمت التحولات الزمنية في استحضار صورة الحدث الماضي، وبث روح الحركة والحيوية في الحدث الجامد، وكأن صورة الحدث واقعة وحاصلة أمام العيان، وكأن الحدث مرئي، متعدية كل حدود الزمن الماضي. وهذه عناية كبيرة من

(١) لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٣٨٥/١٤

(٢)ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٠/٦

(٣)ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، الميداني، ص١٧١-١٧٢

(٤) طه:٤٦

(٥) العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، إشراف: عباس علي السوسوة، رسالة ماجستير جامعة تعز، اليمن، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م، ص١١٩

التعبير القرآني بالمتلقي، في إيصال الحكايات على الزمن الماضي في صورة الحاضر والحال الذي يُشاهد.

إننا نلمح في هذا التحول الزمني، وكأننا نُقلنا إلى ذلك الزمن، زمن الحدث، ويؤكد على ذلك كريم الخالدي عندما قال:" وهذا التغيير في موضع الفعل ينقل المخاطب إلى زمن غير الزمن الذي يعيش فيه، ويحفز ذهنه لتصور أحداث ذلك الزمن بدقائقها وتفصيلاتها، وكأنها تقع أمام عينه."(١)

إن الأثر الجمالي الذي تؤديه صيغة المضارع الدالة على الماضي تساعد في تقريب صورة الحدث، وترسمه بدقة متناهية، بكل تفاصيله؛ ليعيش المتلقي ذلك الواقع الذي يفيض بالحيوية والإثارة. كما يتجاوز المدى الزمني بين زمن الحدث وزمن السرد، وهذا ما يتيح للمتلقي توظيف حاستي السمع والبصر، والذي يتولد عنه التفاعل الوجداني، والانسجام الروحي، فيعيش القصة بتفاصيلها، ويتفاعل معها. فمن المعروف أن نقل القصة بصيغة الماضي يحرمها القيمة التعبيرية فتبدو باهتة الملامح.(٢) وهذا ما لا نجده في التعبير بصيغة المضارع. فيحصل شد وجذب انتهباه المتلقي؛ لأن المضارع أوقع في النفس وأكثر تأثيرًا من الماضي، فالصورة تستحضر.

خلاصة الأمر:

١- لم تلتزم الأفعال المضارعة في سورة طه بدلالة الزمن الصرفي، بل أفادت بعضها الدلالة على زمن الماضي، وعددها ثلاثة عشر(١٣) فعلًا.
٢- دخلت بعض القرائن على صيغة (يفعل) في سورة طه، فتحول زمنه المقرر له الحال والاستقبال، إلى الماضي، وهي: (أفعال مسبوقة بـ(لم) وكانت سبعة(٧) أفعال، وما سبق بـ(إذ) فعلان اثنان (٢)، وما جاء حكاية لحال ماضية ستة أفعال (٦)، وما عطف على ماض فعل واحد (١).

(١) نظرات في الجملة العربية، كريم حسين الخالدي، دار صفاء، عمان، ط١ ، ٢٠٠٥م، ص١٦٨
(٢)ينظر: العدول في صيغ المشتقات، جلال الحمادي، ص١١٣,١١٤

٣- ارتفعت عدد الأفعال المضارعة في السورة، مع أنها في معظمها تتحدث عن قصتي موسى وآدم -عليهما السلام-، وأثبتت الدراسة أن منها ما جاء للدلالة على الزمن الماضي، ولم تلتزم بزمن الصيغة المضارع، وقد كان ورودها بصيغة المضارع تجسيدًا للصورة، وتوضيحًا لأحداث القصة القرآنية، حتى كأن السامع يشاهدها، ويعيش أحداثها، وكان ذلك أبلغ من التعبير عنها بصيغة الماضي.

٤- أن ظرف الزمان (إذ) الذي" يتفق النحاة على أنها ظرف لما مضى من الزمن."[١] لا يلتزم دائمًا بمعنى الماضي، فقد ورد في السورة دالًا على الاستقبال، وذلك في قوله تعالى: ﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ إِذ يَقولُ أَمثَلُهُم طَريقَةً إِن لَبِثتُم إِلّا يَومًا﴾،[٢] بمعنى: (سيقول).

(١) الزمن في القران الكريم، بكري عبدالكريم، ص٣٢٦

(٢) طه:١٠٤

المطلب الثاني: دلالة المضارع على الزمن العام

قد تأتي صيغة المضارع (يفعل) فلا ترتبط بزمن بعينه، إنما تشمل عموم الزمان، فهي تنطلق من الماضي للحال للاستقبال، ويدل على ذلك القرائن المعنوية أكثر من اللفظية، لأنه إنما يفهم من معناه غالبًا، ومما يعين على ذلك:

١- إذا تعلقت الصيغة الفعلية بصفات الله -عز وجل- وأفعاله،[١] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾،[٢] وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾،[٣] فالله وحده هو العالم بأمور البشرية، دائمًا وأبدًا، وفي كل زمان.

٢- إذا جاءت الصيغة الفعلية للدلالة على حدث لا يرتبط بزمن خاص، بل يحدث في كل أمة، أو يدل على تقليد أو عادة سارت عليها أمة من الأمم،[٤] كقول الله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾،[٥] فهذه الصفات قد لازمت المنافقين في كل زمان.

٣- إذا وردت الصيغة الفعلية بعد (لا) النافية،[٦] تؤول في بعض السياقات للزمن العام، فهو المحدد لذلك الزمن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾،[٧] **وقوله:** ﴿**وَمَا لَنَا**

(١)ينظر: الزمن النحوي، كمال رشيد، ص٦٨

(٢) البقرة: ٧٧

(٣) المائدة: ٩٩

(٤)ينظر: الزمن في القران الكريم، عبدالكريم بكري، ص١١١

(٥) التوبة: ٦٧

(٦)ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مصر، هنداوي، ٢٠١٤م، ص٨٦

(٧) البقرة: ٢٦

لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.(١)

٤- إذا دلت على ظواهر كونية،(٢) من ذلك قوله تعالى:﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** (٣) فجريان الشمس والقمر غير مرتبط بزمن معين، بل هو شامل ومستمر لكل الأزمنة.

٥- إذا جاء في سياق الحكم والأمثال، أو العبارات العلمية المتفق عليها،(٤) مثل(مِنَ الحَبَّةِ تَنْشَأ الشَّجَرَةُ)،(٥) فهذا المثل يفيد عموم الزمان.

٦- إذا جاء في سياق الشرط،(٦) ينصرف زمن الفعل المضارع في بعض المواضع إلى الزمن العام، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾،(٧)وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾.(٨)

الأفعال المضارعة الدالة على الزمن العام في سورة طه:

قد ورد في سورة طه أفعال مضارعة انصرفت دلالتها إلى الزمن العام، وكانت (١٦) فعلًا، وذلك في:

١- ما جاء منها في صفات الله عز وجل، وكانت خمسة أفعال (٥):

(١) المائدة: ٨٤

(٢)ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، المخزومي، ص١٥٧، والزمن النحوي، كمال رشيد، ص٦٩

(٣) الرعد: ٢

(٤)ينظر: الزمن في النحو، كمال إبراهيم، ص٢٠٤، ٢٠٥

(٥) والمعنى: أي من الأمور الصِّغَار تنتج الكبار، معجم الأمثال، الميداني، ٣١٢/٢

(٦)ينظر: الزمن المطلق في اللغة العربية، محمد حسن قواقزة، ص٢٣٤

(٧) الطلاق: ٢

(٨) البقرة: ١٠٨

- قال تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾. (١)
- قال تعالى: ﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾. (٢)
- قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾. (٣)
- قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾. (٤)

يخاطب الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى سيدنا موسى وهارون، بعد أن خشيا فرعون وطغيانه؛ وفي قوله:" ﴿ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ أي: ما جرى بينكما وبينه من قول وفعل،"(٥) وقد جاءت صيغة المضارع (**أسمع**) و(**أرى**) في هذه الآية للدلالة على زمن عام مطلق غير مختص بزمن؛ لأنه من صفات الله -عز وجل- وصفات الله -سبحانه وتعالى- لا ترتبط بزمن معين دون الآخر، بل تفيد عموم الزمان فالله سبحانه وتعالى يسمعنا ويرانا أينما كنا وحيثما توجهنا، ومن غير اللائق أن نربط ذلك بزمن معين دون الآخر.

وقد جاء الفعل (**يعلم**) في الآية الثانية على صيغة المضارع، إلا أن المعنى قد انصرف للدلالة على زمن عام، فعلم الله قد وسع كل شيء؛ لأن المعنى هنا "ويعلم السر وأخفى إن تجهر بالقول؛ ... فصيغ النظم في قالب الشرط والجزاء زيادة في تحقيق حصوله على طريقة ما يسمى بالمذهب الكلامي، وهو سوق الخبر في صيغة الدليل على وقوعه تحقيقا له. والمعنى: أنه يعلم السر وأخفى من السر في الأحوال التي يجهر فيها القائل بالقول لإسماع مخاطبه، أي فهو لا يحتاج إلى الجهر؛ لأنه يعلم السر وأخفى،"(٦) قال القرطبي (٦٧١هـ):"وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد، وجميع

(١) طه: ٤٦
(٢) طه: ٧
(٣) طه: ١١٠
(٤) طه: ١٣٢
(٥) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٨/٦
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨٨/١٦,١٨٩

الخلائق في علمه كنفس واحدة،"[1] وقد جاءت لبيان سعة علم الله،[2] والدلالة على أن الجهر بالدعاء ليس لإعلام الله سبحانه وتعالى؛ لأنه عليم بذات الصدور، بل لأغراض أخرى منها دفع الوساوس والتضرع لله... وغيرها.[3] وذلك أيضًا في الفعل **(يعلم)** في الآية التي تليها، فقد جاء للدلالة على عظمة علم الله وإحاطته، وضآلة علم البشر، فقد انصرف إلى زمن عام لأنه من صفات الله.

والفعل **(نرزقك)** في قوله تعالى: ﴿**لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ** ﴾ يخاطب الله – سبحانه وتعالى– رسوله الكريم: أن لا نكلفك برزق نفسك وأهلك؛ فتنشغل بذلك عن الصلاة، إنما الرزق على الله،[4] جاءت صيغة المضارع في هذه الآية دالة على زمن عام، وذلك لأن الرزق على الله وحده، يرزق الرسول في ماضيه وحاضره ومستقبله، ثم إن هذا الخطاب موجه إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– والمقصود سائر أمته، فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق وحده، فهو من صفات الله، وصفاته غير مرتبطة أو محددة بزمن معين، ويؤكد على ذلك قول ابن عاشور:" والمقصود من هذا الخطاب ابتداء هو النبي ﷺ ويشمل أهله والمؤمنين؛ لأن المعلل به هذه الجملة مشترك في حكمه جميع المسلمين. "[5]

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م،١١ / ١٧٠

(٢)ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨٩/١٦

(٣)ينظر: فتح البيان، القنوجي، ٢١٥/٨

(٤)ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ١٥/٦

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٤٣/١٦

٢- ما ورد بعد (لا) النافية، وذلك في تسعة أفعال(٩):

- قال تعالى: ﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾.(١)
- قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾.(٢)
- قال تعالى: ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ**﴾.(٣)
- قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾.(٤)
- قوله تعالى: ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا**﴾.(٥)
- قوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾.(٦)
- قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾.(٧)

في الآية الأولى جاء الفعلان (**يضل، وينسى**) في صيغة المضارع، إلا أن الدلالة الزمنية للفعلين لا تتقيد بزمن معين، فهي مؤولة إلى زمن عام؛ لأن المقصود من علمها: علم القرون الأولى، فعلمها في هذا الكتاب؛ وهذه إجابة موسى لفرعون بعد أن سأله عن حال من تقدم من القرون الأولى، وعن حال من سعد منهم، وشقاء من شقي، فأجابه أن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله، في اللوح المحفوظ، الذي لا يجوز أن يضل شيئًا أو ينساه،(٨) وفي قوله تعالى: ﴿**لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ قولان؛ القول الأول أنه يعود لله تنزيهًا له، والقول الثاني أن

(١) طه: ٥٢
(٢) طه: ١١٠
(٣) طه: ٦٩
(٤) طه: ١٢٠
(٥) طه: ١٦
(٦) طه: ١٣٢
(٧) طه: ٨٩
(٨)ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ، ٦٨/٣

المقصود في النفي هو الكتاب، وذلك للدلالة على بقاء ذلك العلم في هذا الكتاب، لا يتغير على مر الزمان.[١] والمرجح في هذا، القول الأول، وذلك للدلالة على أن علم الله محيط بكل شيء، ما مضى، وما هو كائن، وما سيكون، فإحاطة علم الله صفة ثابتة من صفات الله، فيستحيل أن يتعرض علمه للضلال، أو للنسيان.[٢]

والفعل المضارع المنفي (**يحيطون**) في قوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾، لا يختص زمنه بالحال، إنما يشمل عموم الزمان؛ لأنه لا تحيط علوم البشر بالله –سبحانه وتعالى– أبدًا، لا بذاته ولا بمعلوماته ولا بصفاته،[٣] أما الفعل (**يفلح**) في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ**﴾، فالمقصود به عموم السحرة، وقد دل على الزمن العام، لأن المراد هنا أن الساحر لا يحصل له مقصوده بالسحر خيرًا كان أو شرًا، حيث توجه وأقبل،[٤] "وتعليق الحكم بوصف الساحر يقتضي أن نفي الفلاح عن الساحر في أمور السحر لا في تجارة أو غيرها. وهذا تأكيد للعموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي، لأن عموم الأشياء يستلزم عموم الأمكنة التي تقع فيها."[٥] وقد دل الفعل (**يبلى**) على الزمن العام، في قوله تعالى: ﴿**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾؛ لأن الشيطان نفى عن الملك الذي سيدل آدم عليه أن يفنى، أو أن يصير باليًا، للدلالة على ديمومته وعدم زواله، وللتأكيد والترغيب في الملك.[٦] كما جاء الفعل المضارع (**يؤمن**) في قوله تعالى: ﴿**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا**﴾ للدلالة على الزمن العام؛ لأن عدم الإيمان إنما هو شعور مستمر في قلوب الذين كفروا على مدى الأزمان، وفي وصفهم بذلك دلالة على

(١)ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٣٤١/٧

(٢)ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط.١، ١٤٢٣هـ، ص١٣٧

(٣)ينظر: فتح البيان، القنوجي، ٢٨٠/٨

(٤)ينظر: المصدر السابق، ٢٥٣/٨

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦١/١٦

(٦) ينظر: روح المعاني، الألوسي، ٨/ ٥٨٢

تمكنه منهم واستمراره في قلوبهم، ويحمل التركيب على "حث عظيم على العمل بالدليل، وزجر بليغ عن التقليد، وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله."[١] والفعل (**نسألك**) في قوله تعالى:﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ**﴾ خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى الرسول الكريم، والمقصود به: لا نكلفك رزق نفسك وأهلك، فتنشغل بذلك عن الصلاة، والعبادة، إنما الرزق على الله،[٢] وزمن السؤال بالتأكيد لا ينحصر على الحال؛ إنما يشمل الماضي، والحال، والاستقبال. وقد ارتبطت صيغة الفعلين (**يملك**) و(**يرجع**) في قوله تعالى: ﴿**أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾، بزمن عام دون تقييد زمني معين؛ فهذا الخطاب إنكار على بني إسرائيل على ما فعلوه في غياب موسى –عليه السلام– من عبادتهم للعجل، والمعنى أن هذا العجل لا يرد لهم جوابًا، ولا يرجع إليهم كلامًا، ولا يقدر أن يدفع الضر عنهم، أو يجلب لهم النفع،[٣] وقد دل على الزمن العام؛ لأن هذا العجل لا يملك ضرًا ولا نفعًا، فهما صفتان ملازمتان لذلك العجل الذي لا حول له ولا قوة، فالذي يملك الضر والنفع هو الله –سبحانه وتعالى– وحده، فلو نفينا عنه الضر والنفع في زمن الحال فقط كما تشير الصيغة لأثبتناها عليه فيما عدا ذلك من الأزمنة، أي الماضي والاستقبال، وهذا مما يقصر من دلالته ومعناه، فالنفي هنا يفيد عموم الزمان. وفي ذلك تقبيحًا لما فعلوه، وتسفيهًا للمنكر الذي أقدموا عليه من عبادة العجل،[٤] ودلالة على سخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه،[٥] فالمعبود لا يمكن أن يكون عاجزًا عن رد السؤال أو أن يكون عاجزًا عن النفع.[٦]

(١) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٥٧
(٢)ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/٥١
(٣)ينظر: روح المعاني، الألوسي، ٨/٥٦٠
(٤)ينظر: المصدر السابق، ٨/٥٦٠
(٥)ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٤/ ٨٤
(٦)ينظر: المصدر السابق، ٤/ ٨٤

٣- ما ورد في سياق الشرط، وذلك في فعلين (٢):

- قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾[١]
- قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ [٢]

فقد جاءت صيغة الفعل (**يعمل**) للدلالة على الزمن العام، لأن (من) تفيد عموم الزمان والمكان،[٣] فالعمل في هذه الآية يشمل جميع المؤمنين، لأن المقصود من هذه الآية أنه من يعمل من المؤمنين عامة صالحًا- والإيمان شرطٌ لذلك العمل- فلن يخاف يوم القيامة من نقص في ثوابه أو ينقص ثقله،[٤] فجواب الشرط محدد بالاستقبال؛ لأنه سيكون يوم القيامة، أما العمل الصالح من المؤمنين فهو يشمل جميع الأزمنة دون تقييد في زمان دون الآخر.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ دل المضارع (**تجهر**) على الزمن العام، فهذا الخطاب موجه للرسول -صلى الله عليه وسلم- إلا أن المقصود عموم البشر، قال ابن عاشور(١٣٩٣هـ):" فالخطاب في قوله (وإن تجهر) يجوز أن يكون خطابا للنبي ﷺ وهو يعم غيره. ويجوز أن يكون لغير معين ليعم كل مخاطب."[٥] وقال أبو حيان (٧٤٥هـ): "ذكر تعالى صفة العلم وأن علمه لا يغيب عنه شيء والخطاب بقوله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ ﴾ للرسول ظاهر، أو المراد أمته."[٦] للدلالة على سعة علم الله.

(١) طه: ١١٢

(٢) طه: ٧

(٣)ينظر: الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، ص٢٤٩

(٤)ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٤٥٧

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦/ ١٨٩

(٦) البحر المحيط، أبو حيان، ٧/ ٣١٣

مجمل القول

خرج الفعل المضارع في سورة طه عن دلالة الصيغة الصرفية المفردة، وجاء لإفادة الزمن العام، الذي يشمل الماضي، والحال، والاستقبال، دون تقييد لزمن دون الآخر، وقد غلب ذلك في الأفعال المنفية وكانت تسعة (٩) أفعال، ثم يليه ما ارتبطت دلالته بصفات الله عز وجل، وكانت (٥) أفعال، وأخيرًا الشرط في فعلين (٢). وكان مجموع الأفعال المتحولة إلى الزمن العام (١٦) فعلًا.

الخاتمة

١) أن صيغة الفعل المضارع في اللغة العربية إلى جانب دلالتها على الحال، قد تأتي للدلالة على الماضي، وعلى الزمن العام؛ فقد ورد في سورة طه مئة وخمسة وخمسون (١٥٥) فعلًا مضارعًا، منها: ثلاثة عشر(١٣) فعلًا دلت على الزمن الماضي، كما انصرف ستة عشر (١٦) فعلًا إلى زمن عام غير مقتصر على زمن معين.

٢) وردت الأفعال المضارعة الدالة على الماضي في ذكر الأحداث والحوارات في قصتي موسى وآدم –عليهما السلام–، وبيان نصر الله للرسل بالحجة والمعجزة، وذكر المنن التي منها الله على سيدنا موسى، وهذا أسهم في تصويرها، وبث روح الحركة والحيوية في تلك الأحداث الجامدة، واستحضار صورة الأحداث الماضية وكأنها واقعة وحاصلة أمام العيان، وقائمة وحاضرة أمام السامع.

٣) جاء الفعل المضارع الدال على الزمن العام للدلالة على ديمومة صفات الله عز وجل، والصفات اللازمة للأحداث في كل زمن.

٤) دخلت بعض القرائن على صيغة (يفعل) في سورة طه، فتحول زمنه المقرر له إلى زمن الماضي، وهي: (أفعال مسبوقة بـ(لم) وكانت سبعة (٧) أفعال، وما سبق بـ(إذ) فعلان اثنان (٢)، وما جاء حكاية لحال ماضية ستة أفعال (٦)، وما عطف على ماض فعل واحد (١). ومن القرائن المساعدة على التحول إلى الزمن العام في السورة: (الأفعال المنفية وكانت تسعة (٩) أفعال، وما ارتبطت دلالته بصفات الله عز وجل، وكانت (٥) أفعال، وما جاء في سياق الشرط في فعلين (٢).

٥) أسهمت التحولات الزمنية للفعل المضارع في استحضار صورة الأحداث، وكأن صورة الحدث واقعة وحاصلة أمام العيان، متعدية كل حدود الأزمان. وهذه عناية كبيرة من التعبير القرآني بالمتلقي. إننا نلمح في هذا التحول الزمني، وكأننا نُقلنا إلى ذلك الزمن، زمن الحدث، ليعيش المتلقي ذلك الواقع الذي يفيض بالحيوية والإثارة. كما يتجاوز المدى الزمني للصيغة الفعلية.

المصادر والمراجع:

- اتجاهات التحليل الزمني، محمد عبدالرحمن الريحاني، دار قباء، القاهرة، د.ط، د.ت
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مصر، هنداوي، ٢٠١٤م
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- أسرار العربية، كمال الدين الأنباري، الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- الأفعال، ابن القوطية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.
- التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الصبان الشافعي، أبو العرفان محمد بن علي، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
- دراسات في الفعل، عبدالهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

- رسالة الافصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح، ابن الطراوة المالقي، سليمان بن محمد بن عبد الله أبو الحسين، عالم الكتب، بيروت–لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ
- الزمن النحوي في اللغة العربية، كمال رشيد، عالم الثقافة، د.ط، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م
- الزمن في النحو العربي، كمال إبراهيم، إشراف تمام حسان، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٦٩م.
- شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- صفوة التفاسير، الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م
- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، إشراف: عباس علي السوسوة، رسالة ماجستير جامعة تعز، اليمن، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا — بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م
- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ
- الفعل زمانه وأبنيته، السامرائي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- في النحو العربي (نقد وتوجيه)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي ، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- اللغة، فندريس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦هـ.
- معارج التفكر ودقائق التدبر، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط.١، ١٤٢٣هـ.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق :علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م
- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تحقيق :علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- النحو الأساسي، أحمد مختار ومصطفى زهران ومحمد حماسة، دار السلاسل، الكويت، ط٤، ١٩٩٤م
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥، د.ت.
- نظرات في الجملة العربية، كريم حسين الخالدي، دار صفاء، عمان، ط١ ، ٢٠٠٥م،
- الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ